مصادر التاريخ الفرعونى

١- مانيتون السمنودى

وهو كاهن مصرى ومؤرخ، وقد خدم فى معبد سيبينيتوس الذى قام بجانب بلدة سمنود الحديثة (ومن هنا جاءت تسميته مانيتون السمنودى).

ومن ضمن الثمانية أعمال الأدبية والتاريخية التى تركها لنا، كان العمل الأشهر المسمى «إيجيبتياكا ـ Aegyptiaca» والذى قسم التاريخ الفرعونى والمصرى القديم فيه إلى ثلاثين أسرة. وقد نقل عن هذا العمل الثرى الكثير من المؤرخين القدامى مثل «يوليوس أفريكانس» (٢٢٠م) «إيوسيبيس» (٣٢٠م) وغيرهما، فعاشت كتابات «مانيتون» فى ضمير التاريخ إلى الآن. ومن مميزات التأريخ المانيتونى أن صاحبه كان يتقن الكتابات الهيروغليفية، وبالتالى كان اطلاعه على النصوص الموجودة فى مكتبات المعابد، والتى كان يعمل بها ككاهن أو يزورها كرجل دين وعلم، اطلاعًا موثوقًا به غير مُسيس أو متأثر بحضارة أجنبية مثل ما حدث مع «هيرودوت» الذى وقع فى أخطاء جمة؛ لأنه لم يتقن اللغة المصرية، فكتب بعض الفصول فى التاريخ المصرى المشكوك فى صحتها. وللأسف لم يترك لنا التاريخ الكثير من «مانيتون» نفسه وحياته الثقافية التى استمرت من ٣٠٥ إلى ٢٨٥ ق.م، أى إبان عصر الملك «بطليموس الأول سوتر». وقد تم حصر بعض الأخطاء القليلة فى أعماله التاريخية.

٢- حجر باليرمو

وسميت هكذا لوجودها الآن فى باليرمو بإيطاليا. وهى عبارة عن قطع منفصلة من لوحة حجرية منحوتة من البازلت، ترجع إلى الأسرة الخامسة (٢٤٩٤ - ٢٣٤٥ ق.م) ومنقور عليها من الجانبين أسماء لحكام مصر، حتى هؤلاء الذين حكموا قبل عصر الأسرات، وهى مصدر مهم

للتأريخ المصرى القديم، وكان ارتفاع اللوحة الأصلية حوالى ٢ متر، وعرضها كان يصل تقريبًا إلى نصف متر. وأهميتها تكمن فى أن النص يعدد ملوك مصر وإنجازاتهم وحروبهم وأعيادهم وطقوسهم الدينية حتى الأسرة الخامسة. وأجزاء حجر باليرمو معروضة الآن بصقلية والمتحف المصرى بالقاهرة ومتحف بيترى بلندن.

٣- بردية تورين

أطلق الآثاريون عليها تلك التسمية لوجودها الآن محفوظه فى متحف تورين بإيطاليا. وتعتبر من أهم أوراق البردى القديمة التى تم اكتشافها، فهى تحوى أسماء ٣٠٠ ملك وحاكم لمصر القديمة، ولكنها للأسف لم تصلنا كاملة .

بردية تورين ترجع إلى عصر الملك «رمسيس الثانى» (١٢٧٩ - ١٢١٢ ق.م)، النص مكتوب بالكتابة الهيراطيقية (وهى طريقة أسرع وأقل تعقيدًا فى كتابة النصوص المصرية القديمة، ودائمًا ما كانت تكتب من اليمين إلى اليسار، اللفظ أصله يونانى وينطق هيراتيكا، ومعناه «المقدس»).

قائمة الأسماء المدونة على البردية تضمنت بجانب الملوك المصريين أسماء ملوك الهكسوس (الملوك الرعاة الأجانب، والذى أطلق عليهم المصرى القديم: «حِكا ـ خاسوت»)، وهذا ما يجعل بردية تورين ذات أهمية؛ لأن قوائم الملوك الأخرى كانت تحذف الهكسوس منها؛ لأنهم كانوا يُعتبرون غزاة وأعداء، لدرجة أن أطلق المصريون عليهم اسم «الطاعون»، ولكن لم يضع أسماء الملوك الهكسوس فى خراطيش ملكية، وإمعانًا فى التخصيص وضع الكاتب لقب: «أجنبى» بجانب اسم الحاكم الهكسوسى؛ ولكن ما يجعل بردية تورين أهم بردية تاريخية هو أن كاتب قائمة الملوك كان يضع الكثير من المعلومات المهمة بجانب اسم الحاكم مثل عدد سنين حكمه. وترك لنا كاتب البردية أيضًا بعض المعلومات عن الأرباب والأرواح الدينية الأسطورية التى كانت مذكورة فى عصر ما قبل الحكام البشر. وربما تكون تلك المعلومات هى ما شجعت بعض المؤرخين على إضافة أسرة مالكة حاكمة للثلاثين أسرة المؤكدة تاريخيًا وكلاسيكيًا، وأطلق عليها الأسرة «صفر»، أى قبل الرقم «واحد» أى الأسرة الأولى، ويحلو لبعض المؤرخين تسمية الأسرة صفر باسم «مريدو حور» أو أتباع حورس الرب الصقر المصرى القديم الذى قُدِّس فى عصور ما قبل الأسرات.

بردية تورين الآن تقبع فى متحف تورين بإيطاليا المسمى Museo Egizio.

قائمة الملوك طبقًا لرأى الملك سيتى الأول (معبد أبيدوس)

بهو الأجداد بمعبد أبيدوس ١٢/ ٦/ ٢٠٠٨

٤- قائمة الملوك فى معبد أبيدوس

هذه القائمة منحوتة على حائط فى غرفة على هيئة ممر فى معبد أبيدوس الذى شيده الملك «سيتى الأول» (١٢٩٠ - ١٢٧٩ ق.م)، ثم أضاف إليه ابنه «رمسيس الثانى» العديد من المبانى. ويطلق على هذا البهو «بهو الأجداد»، أو «بهو التسجيلات»، إذ إن الداخل فى هذا الممر يستطيع أن يتمتع بالنظر إلى منظر قديم يظهر فيه الأمير الصغير مع والده الملك «سيتى الأول» وهو يحمل لفافة من البردى التى من المفترض أن تكون بها قائمة بأسماء كل الملوك والحكام الذين سبقوا الأمير رمسيس (فى ذلك الوقت). وتظهر بجلاء تلك القائمة أمامه أول ملوك الأسرة الأولى «مينا»، وتنتهى القائمة بالملك «سيتى الأول» نفسه ذاكرة ستة وسبعين حاكما. ولكننا ورغم أهمية النص المنحوت لا نستطيع أن نتخذها كمصدر موثوق به؛ وذلك لأن تلك القائمة قد سجلت أسماء الحكام من وجهة نظر «سيتى الأول» الشخصية، فهو لم يذكر الملكة «حتشبسوت» مثلًا، وكذلك حكام فترة العمارنة أمثال «إخناتون» و«سمنخكارع» و«توت عنخ آمون» و«آى».

وهذا يُضعف القائمة من الناحية التاريخية؛ لأنك ـ مثلًا ـ إذا لم تذكر هؤلاء الحكام السابق ذكرهم، فهذا يعنى أن تلك القائمة تؤرخ اعتلاء «حور محب» عرش مصر بعد الملك «أمونحوتب الثالث»، وهذا بالتاكيد خطأ جسيم.

وقد نحت «رمسيس الثانى» قائمة شبيهة لتلك التى تركها لنا أبوه فى معبده بأبيدوس، وهى قائمة ملونة، وهى الآن فى المتحف البريطانى بلندن. ومن الممكن أن نقول إن قوائم مشابهة للملوك والحوليات فى سقارة ومعبد الكرنك وغيرها قد أثرت التاريخ المصرى.

٥- مصادر أثرية

وتتمثل فى النصوص المنحوتة على جدران المعابد والمقابر واللوحات والتماثيل، وأيضًا البرديات والشقافات المكتوبة، وخصوصًا بعد أن تم فك طلاسم الكتابات القديمة، وبالذات الهيروغليفية الملكية عام ١٨٢٢م. وقد أفادتنا تلك المصادر فى معرفة الأحداث السياسية والاجتماعية، وعدد سنين حكم الملك، والتعاملات التجارية بل وأسعار السلع والمواد الغذائية، والمشاكل والقضايا وكل ما يتعلق بالحياة اليومية، سواء أكانت الحياة الملكية فى القصور والمعابد أو حياة العامة ورجل الشارع، فأصبح التاريخ القديم وكأنه فيلم تسجيلى يجرى أمام أعيننا الآن.

وهم الذين يعتمد على كتاباتهم أغلب الدارسين والباحثين الآن، أمثال «هيرودوت»، و«سترابون»، و«ديودورس الصقلى»، و«بلوتارخ»، و«آريانوس»، و«أرستياس»، و«سينيكا»، و«أولوس»، و«جلليوس»، و«إميانوس»، و«مارقللينوس»، و«أوروسيس»، و«عبد اللطيف البغدادى»، و«ابن القفطى»، و«المقريزى»، و«الجبرتى»، و«ابن بطوطة»، و«ابن تغرى بردى»، و«إيمرى»، و«فليندرزبترى»، و«إيرمان»، و«عبد العزيز صالح»، و«أحمد فخرى»، ودرة المؤرخين «سليم حسن».

ورغم اختلافهم فى وجهات النظر التاريخية إلا أنهم جميعًا أثروا التاريخ المصرى فى مختلف عصوره.

❁ ❁ ❁

عزيزى القارئ ... عزيزتى القارئة، فى عمر الأوطان إنجازات كثيرة، ولكن فى مصر تبلورت التجربة وأفرزت نتائج مهمة، فظهرت البصيرة المصرية التى تغلغلت فى أعماق تاريخ الحضارة الإنسانية، ويجد الإنسان متعة وهو يسبح بعينيه باحثًا فى تاريخها، وعندما يستدعى ذاكرته يجدها حاضرة وواضحة فى البناء الحضارى المصرى. ودائمًا ما يكون للقديم وللتاريخ فى نفوس الناس ذكرى وصدى، هذا الصدى فى مزيج من الاحترام والتقدير، يرتفع بمقام الأمة إلى أعلى مناص.

هذا الكتاب الذى بين يديك هو محاولة متواضعة لعمل إطلالة على فصول كتبها الإنسان المصرى على مدار آلاف السنين، وما زال يكتبها بأنامل لا تكل ولا تمل من عزف سيمفونية متفردة متماسكة الأطراف، تسمعها أذناك كلما أمعنت النظر فى وجه مصر الصبوح.